ارتباط عسير بالدعوة الإصلاحية منذ الدولة السعودية الأولى

من (١٢١٥ – ١٢٨٩ هـ)
(١٨٠٠ – ١٨٧٢ م)

د . عبد المنعم إبراهيم الجميعى
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
بكلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية
بـأبها

دار جرش للنشر والتوزيع
خميس مشيط ص.ب ٣٧٦
المملكة العربية السعودية هاتف ٠٦٨٩١٠ ٢٢٣

الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

يدور محور هذه الدراسة حول ارتباط عسير بالدعوة الإصلاحية التى حملت لواءها الدولة السعودية الأولى بعد اتفاق الدرعية الذى تم بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود فى عام ١١٥٨ هـ / ١٧٤٥ م ، والتى حملها الأخوان محمد وعبد الوهاب ابنا عامر من آل المتحمى إلى عسير ، وتقبلها أهل عسير ، وكانوا جنوداً أوفياء لها ، وعملوا كل ما فى وسعهم لترسيخ مبادئها . وقد حمل لواء هذه الدعوة من أمراء أسرة المتحمى كلٌّ من :

١ ـ محمد بن عامر الشهير بأبى نقطة ، والذى حكم عسير فى الفترة من ١٢١٥ ـ ١٢١٧ هـ .

٢ ـ عبد الوهاب بن عامر الشهير بأبى نقطة ، والذى حكم عسير فى الفترة من ١٢١٧ ـ ١٢٢٤ هـ .

٣ ـ طامى بن شعيب ، والذى حكم عسير فى الفترة فى ١٢٢٥ ـ ١٢٣٠ هـ .

٤ ـــ محمد بن أحمد المتحمى ، والذى حكم عسير فى الفترة من ١٢٣١ ـــ ١٢٣٣ هـ .

وقد تبع آل المتحمى فى حكم عسير وحمل لواء الدعوة الإصلاحية كلٌّ من :

٥ ـــ سعيد بن مسلط ، والذى تولى حكم عسير فى الفترة من ١٢٣٨ ـــ ١٢٤٢ هـ .

٦ ـــ على بن مجثل ، والذى تولى حكم عسير فى الفترة من ١٢٤٢ ـــ ١٢٤٩ هـ .

٧ ـــ عائض بن مرعى ، والذى تولى حكم عسير فى الفترة من ١٢٤٩ ـــ ١٢٧٣ هـ .

٨ ـــ محمد بن عائض ، والذى تولى حكم عسير فى الفترة من ١٢٧٣ ـــ ١٢٨٩ هـ .

وقد نجح هؤلاء القادة فى نشر مبادئ الدعوة فى عسير وفى منطقة المخلاف السليمانى والحجاز وغيرها ، وواجهوا قوات محمد على الغازية ، سواء من خلال مساندتهم للدولة السعودية الأولى فى حروبها ضد محمد على ، أم من خلال ولائهم لحكام نجد من السعوديين فى الدولة السعودية الثانية ، خصوصا فى أيام تركى بن عبد الله وابنه فيصل ، أم نتيجة

لدفاعهم عن بلادهم ، لدرجة أن الحزوب التى خاضتها قوات محمد على معهم ، كانت من أشق الحروب بالنسبة لمحمد على ، وأكثرها ضراوة وهزائم وضحايا ، وأعظمها نفقات ومواقف عصيبة .

والدراسة التى بين أيدينا ، اعتمدنا فيها على وثائق عسيرية ومصرية .

وعن الوثائق العسيرية والمحلية ، فقد تفضل الأستاذ عبد الخالق بن سليمان الحفظى مدير التعليم برجال ألمع ، بالسماح لى بتصويرها والاستعانة بها فى بحوثى .

أما عن الوثائق المصرية ، فقد حصلنا عليها من دار الوثائق المصرية الموجودة بقلعة صلاح الدين فى القاهرة .

وفيما يلى نعرض لموضوع الدراسة :

ارتبط تاريخ عسير الحديث إلى حد كبير بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية ، إذ كان لها دور كبير فى قيام إمارة قوية فى عسير ، التفَّت حولها كافة القبائل فى عسير ، واستطاعت تلك الإمارة أن تقوم بدور كبير فى الحوادث التاريخية ، التى وقعت بالجزيرة العربية خلال القرن الثالث عشر الهجرى ، كما أنها ظلت حاملة لواء الدعوة حتى بعد سقوط الدرعية على يد إبراهيم باشا فى عام ١٢٣٣ هـ / ١٨١٨ م[١] .

والسؤال المطروح هو : كيف وصلت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى الجزء الجنوبى الغربى من الجزيرة العربية ؟

لقد وصلت بشائر الدعوة إلى هذه المنطقة ، منذ أن ذهب محمد بن عامر من آل المتحمى[٢] الشهير بأبى نقطة[٣] مع أخيه عبد الوهاب إلى

---

(١) على أحمد عسيرى : عسير ، دراسة تاريخية ١٢٤٩ ــ ١٢٨٩ هـ . أبها ، نادى أبها الأدبى ١٤٠٧ هـ ، ص ١٢٣

(٢) تنتمى هذه الأسرة إلى قبيلة ربيعة ، رفيدة إحدى قبائل عسير السراة ، وقد حكمت هذه الأسرة عسير فى الفترة من ١٢١٧ ــ ١٢٣٣ هـ . أما قبيل هذه الفترة ، فقد كانت أسرة آل يزيد تتوارث الحكم فى عسير .

(٣) كان الجد الأكبر لهذه الأسرة يكنى بأبى نقطة ؛ لسحابة كانت على عينه ، =

الدرعية فى عام ١٢١٣ هـ ، رغبة منهما فى التعرف على مبادىء الدعوة على طبيعتها[١] ، وأملا فى الوصول إلى السلطة والسيادة على قبائلهما فى عسير[٢] ، ولم يلبث الأخوان طويلا حتى اقتنعا بتلك الدعوة .

وبعد مرور عام من تواجدهما بالدرعية ، شرحَ الله صدرَهما للدعوة ، وأصبحا دعاةً إلى الحق فى كل مكان[٣] ، وقبل أن يتأهبا للعودة إلى عسير جهز لهما الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود جيشا تحت إمرة ربيع بن زيد ، أمير وادى الدواسر[٤] لمساعدتهما فى نشر الدعوة فى عسير وما جاورها .

وبعد أن تمكن هذا الجيش من دخول عسير بمساعدة قبيلتى

= ومن هنا اشتهر أفراد هذه الأسرة بهذا الاسم .

انظر : منير العجلانى : تاريخ البلاد العربية السعودية ، ص ١٩٤

(١) من المعروف أن الدعوة السلفية وصلت إلى تهامة عن طريق الداعية أحمد بن حسين الفلقى قبل أن تصل إلى عسير .

(٢) محمد عمر رفيع : فى ربوع عسير ، ذكريات وتاريخ ، القاهرة ، دار العهد الجديد ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م ، ص ١٧٥

(٣) الظل الممدود فى الوقائع الحاصلة فى عهد ملوك آل سعود الأولين ، مخطوط ، ص ٤

(٤) من أودية نجد الجنوبية .

انظر : محمد رفيع : المرجع السابق .

شهران(١) وقحطان(٢) ، قام الأخوان ابنا عامر ببث روح الدعوة وأفكارها بين أبناء منطقتهم ، فتقبلها الأهالى بصدر رحب ، وجاءت الوفود إليهما تعلن دخولها فى الدعوة ، والطاعة لآل سعود ؛ ونتيجة لذلك ، أسند الإمام عبد العزيز الأُمورَ فى عسير إلى الأمير محمد بن عامر ، الذى لم يتوان فى نشر الدعوة ، وإظهار حقيقتها أمام أبناء عسير ، فحمل راية الجهاد ، وجاهد أهلَ العناد ، وأمر بالمعروف ونهَى عن المنكر ، حتى حصلت له المعونة من الله وأيَّده بالنصر والظفر(٣) .

وكان أول عمل لأبى نقطة أن نزل إلى قرية رجال(٤) ، حاضرة قبائل

---

(١) قال الهمدانى عن موقع شهران أنه « فى سراة بيشة وترج وتبالة ، فيما بين جرش وأول سراة الأزد » .

انظر : الحسن بن أحمد الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، ص ٦٢

وتنسب شهران إلى زيد بن كهلان ، وقد أورد الهمدانى نسب هذه القبيلة فى الجزء العاشر من الإكليل ص ٥ ، وهذه القبيلة تمثل أكبر قبائل إقليم عسير مساحةً وعددا ، ويحدها من الجنوب قحطان ، ومن الغرب عسير وبللحمر وبنو شهر وبنو عمر ، ومن الشرق تثليث ، ومن الشمال الشلاوة وبلقرن .

للتفاصيل : انظر : على أحمد عسيرى : المرجع السابق ، ص ٨٤ — ٨٧

(٢) يطلق اسم قبيلة قحطان على مجموعة قبائل من خولان وهمدان تسكن ما بين ظهران الجنوب حتى وادى شهران .

للتفاصيل : انظر : على أحمد عسيرى : المرجع السابق ، ص ٩٤ — ٩٨

(٣) محمد بن هادى الحفظى : الظل الممدود ، مخطوط ، ص ٥

(٤) تقع على مسافة أربعين ميلا من أبها ، وهى مدينة مبنية من الحجر بها أكثر =

ألمع ، ودعاهم إلى الطاعة فأجابوه[١] ، ثم توالت جهود محمد بن عامر حتى تسللت أشعة الدعوة إلى أكثر قبائل عسير السراة وعسير تهامة ، الذين رأوا فى الاستجابة لتقبلها إذكاءً للروح الإسلامية ، وإحياءً لمعالم الشريعة الإسلامية السمحة ، وتحقيقاً عمليا للعدالة[٢] ، وكانت النتيجة الحتمية لذلك هى تهيئة رجالات عسير للانضمام معا تحت لواء الأخوة فى الدين ، ونبذ الأحقاد والمنازعات بين القبائل ، وصرف العبادات كلها للغنى الحميد ، وترك دعوة غيره من العبيد ، فأعلنت قبائل عسير دخولها تحت طاعة آل سعود .

وبعد أن انتهى محمد بن عامر من إقناع أبناء عسير بالدخول فى طاعته ، أخذ فى إصلاح أمورهم ، كما قام بنزع السلاح من أيدى القبائل .

والسؤال المطروح هو : لماذا كانت استجابة أهل عسير لمبادىء الدعوة استجابةً فورية ؟

= من ألف منزل ، وهى من المراكز الهامة فى المنطقة .
للتفاصيل : انظر : على أحمد عسيرى : المرجع السابق ، ص ٩٤

(١) محمد عمر رفيع : المرجع السابق ، ص ١٧٨

(٢) العقيلى : تاريخ المخلاف السليمانى جـ ١ ، الرياض ، دار اليمامة ، ص ٤٣٩ — ٤٤٠

الواقع أن أهلَ عسير الذين كانوا فى أغلبهم شوافع ، قد اقتنعوا بصحة مبادئ هذه الدعوة ، وبأهميتها فى تأمين وحدتهم وجلب الأمن والأمان لهم ، فقبلوها برضًى كامل ، وكانت استجابتهم لها والانضواء تحت لوائها دون حروب طويلة ، تجلب لهم الخير والتضامن بدلا من التنافر واللَّبْس فى تفهم تعاليم الإسلام الصحيحة .

ومن هنا فقد ظلوا أوفياء لها ، ولم يبخلوا بالنَّفس والنفِيس من أجلها ، حيث هبوا لرفع راية الجهاد ، ولبوا نداء الواجب ، فشاركوا فى الحرب من أجل نشرها فى مناطق المخلاف السليمانى وغيرها .

وعلى كل حال ، فبعد أن استتب الأمر لابن عامر ، حدث من الأمور ما يقتضى المراجعة مع الدرعية ، فسافر إليها على رأس وفد من كبار رجال عسير ورجال ألمع فى عام ١٢١٧ هـ / ١٨٠٢ م لمقابلة الإمام عبد العزيز ، وفى الدرعية أعلنوا بيعتهم للإمام عبد العزيز وقبولهم مبادئ الدعوة السلفية ، والتزموا بالجهاد فى سبيل الله ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وخلال ذلك أمرهم الإمام عبد العزيز بالجهاد لنشر الدعوة فيما يجاور عسير من بلاد[١] ، كما طلب من محمد بن عامر محاربة شريف أبى عريش الذى كان مناصباً للدعوة العداء[٢] ، ولكن القدر لم يمهله

---

(١) على أحمد عسيرى : المرجع السابق ، ص ١٢٥

(٢) هاشم النعمى : تاريخ عسير فى الماضى والحاضر ، ص ١٣١

طويلا ، ففى أثناء عودته إلى عسير أصيب بمرض الجدرى ، ووافته المنية فى عام ١٢١٧ هـ ، وقبيل وصوله إلى إمارته التى تربع عليها لمدة عامين تقريبا(١) .

وبعد أن وصل نبأ وفاة محمد بن عامر إلى عسير ، أجمع أولو الشأن على مبايعة أخيه عبد الوهاب أميرا عليهم ، فأقرهم الإمام عبد العزيز على ذلك ، واشترط عليه القيام بنشر الدعوة ومحاربة الشريف حمود(٢) أمير أبى عريش .

وقد استجاب الأمير عبد الوهاب لذلك ، فقام بإبلاغ الدعوة ، وإلزام الحجة على المعاندين(٣) ، فتوسعت رقعة انتشار الدعوة إلى مدينة أبى عريش وما حولها من تهامة فاليمن ، حيث تمكن من القيام بعمليات حربية ناجحة ضد الأمير حمود بن محمد الملقب بأبى مسمار(٤) ، بدأها فى رمضان ١٢١٧ هـ ، حيث قاد حملة قوامها عشرون ألف مقاتل ،

---

(١) محمد عمر رفيع : المرجع السابق ، ص ١٧٩

(٢) من أسرة آل خيرات ، ولد فى عام ١١٧٠ هـ وتوفى فى عام ١٢٣٣ هـ ، ويعد من أقوى الأمراء الذين حكموا منطقة المخلاف ، وقد أعلن الدخول فى طاعة آل سعود فى يوم الأحد ١٧ رمضان ١٢١٧ هـ .

للتفاصيل : انظر : العقيلى : المرجع السابق ، ص ٤٧٢

(٣) محمد بن هادى الحفظى : الظل الممدود ، مخطوط ، ص ٥

(٤) كنى بأبى مسمار ؛ لمسمار وقع فى رقبته فى إحدى المعارك الحربية .

انضم إليهم جماعة عرار بن شار[١] والداعية أحمد بن حسين الفلقى[٢] ومنصور بن ناصر[٣] ، وحاربوا الشريف حمود حتى أعلن ولاءه لدعوة التوحيد والولاء لآل سعود ، وذلك فى يوم الأحد ١٧ من رمضان ١٢١٧ هـ . ونتيجة لذلك أصبحت جميع مناطق المخلاف السليمانى[٤] تابعة للسعوديين .

ولإثبات حُسن نوايا الأمير عبد الوهاب تجاه الأمير حمود ، وحتى

---

(١) من قبيلة بنى شعبة ، وكان قد اعتنق الدعوة بعد أن سافر إلى الدرعية وتعرف على حقيقتها وأخذ عن دعاتها .

(٢) كان قد سافر إلى الدرعية للتعرف على الدعوة ، وبعد أن عاد إلى صبيا كلفه الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود بحمل رسالة إلى أمراء المخلاف السليمانى وأهله ، يدعوهم بالدخول فى دعوة التوحيد .

للتفاصيل : انظر : عبد الرحمن البهكلى : نفح العود فى سيرة دولة الشريف حمود ، الرياض ، دارة الملك عبد العزيز ١٤٠٢ هـ ، ص ٨٣

(٣) من أبرز أمراء الأسرة الخيراتية ، دخل فى الدعوة واشترك فى مناصرتها بمنطقة المخلاف السليمانى .

للتفاصيل : انظر : نفح العود ص ٩١ . وأيضا مجلة العرب ، المجلد الثانى ، الجزءان الخامس والسادس ، ذو القعدة وذو الحجة ١٣٩٣ هـ ، مقال بعنوان « الدولة السعودية الأولى فى جنوب الجزيرة » ص ٤٢٨

(٤) كلمة المخلاف تعنى المقاطعة أو المنطقة ، أما السليمانى فهى نسبة إلى سليمان ابن طرف الحكمى الذى حكم منطقة تهامة فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى ، وهذه المنطقة تشمل من الوسم فى الجنوب إلى حلى فى الشمال .

للتفاصيل : انظر : العقيلى : تاريخ المخلاف السليمانى جـ ١ ص ٧٣

يشعر أبناء أبى عريش بأن أميرهم منهم ، أقر الأمير عبد الوهاب الأميرَ حمود على إمارته ، ولكن على شرطين : **أولهما** : أن يكون تابعا للدرعية ، ويقر بالولاء لآل سعود ويتلقى تعليماته منهم . **وثانيهما** : أن يكون تابعا لعسير من الناحية الإدارية .

كما قام الأمير عبد الوهاب بإطلاق سراح الأسرى التابعين لحمود ، وكان عددهم حوالى سبعمائة(١) ؛ ونتيجة لذلك ، وبعد أن خمدت نيران الحرب ، وفَدَ على عسير وفود كثيرة من وراء أبى عريش ، وهم أهالى وادى خلب(٢) ، ووادى تعشر(٣) ، وأهل حرض(٤) ، وأهل خبت المسارحة(٥) ومن يجاورهم من القبائل ، وأهل فرسان(٦) .

ولما رفض أهالى بندر الشقيق(٧) الدخول فى الدعوة ، أرسل إليهم

(١) الظل الممدود ، مخطوط ، ص ١٢

(٢) من أشهر الأودية التى تسكنها قبيلة المسارحة بالمخلاف السليمانى .

(٣) من أشهر الأودية التابعة لمدينة سامطة بجيزان .

(٤) مدينة تابعة لليمن الشمالى .

(٥) من أكبر قبائل المخلاف السليمانى ، وتحدها الحرث شرقا والحكامية غربا وبنى شبيل جنوبا ، ومن الشمال تمتد إلى جهة أبى عريش ، وتتألف من الرواحة والشرفاء .
انظر : العقيلى : المرجع السابق ، ص ٧٤

(٦) من أشهر الجزر فى تهامة عسير ، وتقع فى جنوب شرق البحر الأحمر على بعد ثلاثين ميلا من جيزان .

(٧) إحدى موانى تهامة عسير .

الأميرُ عبد الوهاب حملةً عسكرية لتأديبهم ، وتمكنت هذه الحملة التى قادها الأمير طامى بن شعيب(١) من حسم الموقف لصالح السعوديين ؛ ونتيجة لذلك بايع أهالى هذه المنطقة أميرَ عسير ، وعاهدوه على الطاعة والدخول فى الدعوة .

واستمر عبد الوهاب بن عامر المتحمى أميرا على عسير من قِبَل السعوديين من ١٢١٧ إلى ١٢٢٤ هـ ، أى نحو سبع سنوات قام فى أثنائها بالعديد من الحملات إلى الجهات المجاورة لعسير لتثبيت أركان الدعوة بها(٢) ، وبالذهاب إلى مكة لمساعدة السعوديين فى حروبهم مع الأمير غالب بن مساعد شريف مكة(٣) .

وفى الحقيقة فإن الوثائق التى استخدمناها فى هذه الدراسة ، تشير إلى أن الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود قد طلب فى عام ١٢١٩ هـ من الأمير عبد الوهاب إعداد العدة لمساعدته فى دخول مكة ، التى رفض

(١) ابن عم الأمير عبد الوهاب ، وقد تولى إمارة عسير فى الفترة من ١٢٢٥ — ١٢٣٠ هـ .

للتفاصيل : انظر : هاشم النعمى : المرجع السابق ، ص ١٤٥

(٢) محمد عمر رفيع : المرجع السابق ، ص ١٧٩

(٣) تولى الشريف غالب بن مساعد شرافة مكة فى عام ١٢٠٢ هـ / ١٧٨٧ م ، وفى عهده تطورت علاقاته مع السعوديين إلى صدام مباشر ، انتهى بتغلب آل سعود عليه .

أهلها الاستجابة للدعوة ، والقيام بتأديب الشريف غالب أمير مكة ، الذى نعَتَ الدعوةَ ورجالاتها بأقذع النعوت ؛ ونتيجة لذلك ، أعد الأمير عبد الوهاب خمسة آلاف بزادِهم وركابِهم وعُدَدِهم ، وفى طريقهم إلى مكة وصلهم الخبر بأن الإمام سعود بن عبد العزيز قام بدخول مكة ، وأن الشريف غالبًا ولَّى هارباً إلى جدة وتحصن بها ، وأن رجالات الدعوة دخلوا مكة المشرفة محرِمين ملبِّين بعمرة ، وذلك فى الثامن من شهر المحرم ١٢١٨ هـ .

كما توضح لنا الوثائق أنه بالرغم من إغراء الشريف غالب لحجيج بيت الله الحرام بالحرب معهم ضد القوات السعودية ، فإنهم لم يفعلوا ذلك بل رجع معظمهم إلى بلادهم .

ونتيجة لاستغلال الشريف غالب لعودة الأمير سعود إلى الدرعية ومهاجمته للقوات السعودية فى مكة ، فقد قام القائد العسيرى عبد الوهاب أبو نقطة بجمع قواته والاشتباك مع قوات الشريف غالب والانتصار عليها والدخول إلى مكة مع قواته معتمرين ، « وفتحت لهم الكعبة ودخل فيها الأمير فى أكابر دولته ، وحصل بأسبابهم حلق الذكر والدرس فى كتب التوحيد[1] » .

---

(١) الظل الممدود ، مخطوط ، ص ١٦

وبعد أن عاد الأمير العسيرى إلى بلاده ترك فى مكة قوة للدفاع عنها برئاسة يحيى بن ناشع[١] ، ولكن الأمر لم يستقر على ذلك طويلا ، فقد تمكن الشريف غالب من إجبار الحامية العسيرية على الانسحاب من مكة مما جعل الأمير عبد الوهاب يقوم بدفع قوة أخرى إلى الحجاز برئاسة طامى بن شعيب ، وذلك فى عام ١٢١٨ هـ ، وقد تمكنت هذه القوة من الوصول إلى جدة ومحاصرة أعداء الدعوة ، وهزيمة قوات الشريف غالب والاستيلاء على خمسة من مراكبهم المحملة بالمؤن والعتاد « وأخرجوا ما فيها من الأموال إلى البر[٢] » ووزعوها كغنائم ، فأرسِل الخمس إلى بيت المال فى الدرعية[٣] ، ووزعت الأخماس الأربعة الباقية على المقاتلين .

وبعد استشهاد الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود فى مسجد

(١) قال عنه البهكلى أنه أحد صناديد رجال عسير ، وأحد فقهاء قومه وأهل الرأى فيهم .

انظر . نفح العود ص ٢٠٧ ، ٢٦٩

(٢) الظل الممدود . مخطوط ص ١٨

(٣) كانت الغنائم تمثل مصدرا أساسيا للدخل للدولة السعودية ، وكان على كل قائد ينتصر فى معركة أن يقوم بحجز خمس الغنائم وإرسالها إلى بيت المال فى الدرعية .

الطريف بالدرعية(١) وتولى ابنه الأمير سعود الأمر ، أصدر أوامره إلى عبد الوهاب أبى نقطة أمير عسير بقيادة الجيوش السعودية الموجهة ضد قوات الشريف غالب ، ونتيجة لذلك وجه الأمير العسيرى حملة إلى مكة تحت قيادة طامى بن شعيب ، كما وجه حملة أخرى تحت قيادة محمد ابن عائض ومعه محمد بن أحمد الملقب حوان(٢) .

ولم يتوقف الأمر على ذلك فعندما بلغ الأمير عبد الوهاب قيام بعض أهالى البنادر اليمنية بإمداد الشريف غالب « بثلاث وثلاثين سفينة مشحونة بعدد الحرب والعسكر والمدافع والقنابل(٣) » جمع الأمير عبد الوهاب جُلَّ جنده ، وبعد أن أخذ منهم البيعة للإمام سعود والعهد على السمع والطاعة قسم قواته إلى ثلاثة أقسام للإحاطة بقوات الشريف غالب ثم قام بمكاتبة الشريف غالب ينصحه بالاستجابة لمبادئ الدعوة والسماح لرجالاتها بتأدية مناسك الحج ، ولما رفض الأمير غالب

(١) قيل إن الذى قتله كان رافضيا إيرانيا ، وقيل كان كرديا من أهل العمارية اسمه عثمان ، وقيل إنه من كربلاء ، وأنه أقام بالدرعية يتربص الدوائر لكى يتمكن من أخذ ثأره بعد أن قتل عدة من أولاده فى كربلاء .

للتفاصيل انظر عثمان بن بشر : عنوان المجد فى تاريخ نجد . الرياض الطبعة الثالثة ١٣٨٥ هـ ص ١٥٢ — ١٥٣

(٢) من القادة العسيريين المشهورين بالشجاعة .

(٣) الظل الممدود . مخطوط ص ٢٨

الاستجابة لهذا النداء وخرج بجنوده وقتل بعض رجالات الدعوة أثناء تأديتهم الصلاة ، كما باغت طلائع الجيوش العسيرية وقتل منها ثلاثة آلاف فى معركة حدثت فى المحرم ١٢٢٠ هـ[١] ونتيجة لذلك تقدم رجالات الدعوة وعلى رأسهم الأمير عبد الوهاب فهاجموا قوات الشريف غالب حتى أوقعوا الهزيمة بهم ، كما استولوا على بئر إدام[٢] ، ومنعوا أعداءهم من الاستسقاء من مائه[٣] حتى سقطوا على وجوههم من كثرة الظمأ[٤] .

واجتمع لرجالات الدعوة العديد من الغنائم والأسلاب فقسموها قسمة شرعية ، وانتهى الأمر باستسلام الشريف غالب ودخوله فى طاعة الدولة السعودية التى تظللها الدعوة السلفية بأشجارها الوارفة وذلك فى عام ١٢٢٠ هـ/١٨٠٥ م .

---

(١) هاشم النعمى : المرجع السابق ص ١٣٧

(٢) بئر فى وادى إدام يطؤها درب اليمن ماؤها غزير . والوادى الذى يقع فيه البئر من أودية مكة المكرمة على بعد ٥٧ كيلو جنوبا يقطعه طريق اليمن بين وادى البيضاء ووادى يلملم .

للتفاصيل انظر عاتق البلادى : معجم معالم الحجاز جـ ١ دار مكة للنشر والتوزيع ص ٧٥ ، ١٦٠

(٣) الظل الممدود . مخطوط ص ٣٩

(٤) نفسه ص ٤٠

وهكذا يتضح لنا مدى مساندة العسيريين للدولة السعودية الأولى فى أثناء حروبها للشريف غالب أمير مكة حتى انتهى الأمر بدخول أهالى المناطق الحجازية فى الدعوة .

ولم يقتصر دور الأمير عبد الوهاب فى مساندة الدولة السعودية الأولى على ذلك فحسب . فبعد أن أعلن الشريف حمود بن مسمار عن رغبته فى الانفصال عن الدرعية طلب الأمير سعـود من الأمير عبد الوهاب محاربته(١) والقضاء على حركة عصيانه فتقدم من عسير بجيش كثيف . ولما علم الأمير حمود بهذا الزحف جمع قواته والتقى بقوات الأمير عبد الوهاب عند وادى بيش(٢) وركزت قوة الشريف حمود هجماتها على فرقة الأمير عبد الوهاب . ومن خلال هجوم خاطف من قبل الأمير حمود.. فى صباح الاثنين ١٩ جمادى الثانية ١٢٢٤ هـ التحم القتال بين الطرفين وحمى وطيس المعركة ، وأصيبت القوات العسيرية بخسائر فادحة كان من أبرزها مقتل الأمير عبد الوهاب فى

---

(١) الظل الممدود . مخطوط ص ٧

(٢) من أودية تهامة الهامة ، وتجرى المياه فى هذا الوادى مرتين فى العام مرة فى الخريف وأواخر الصيف ، ومرة فى الشتاء .

انظر على أحمد عسيرى : المرجع السابق ص ٥٥

المعركة[١] ، ونتيجة لذلك صدرت أوامر الدرعية بتعيين طامى بن شعيب أميرا على عسير[٢] .

وبعد أن وصل خبر مقتل الأمير عبد الوهاب إلى الدرعية عين الإمام سعود الأمير طامى بن شعيب أميرا على عسير ، واستمرت إمارة طامى حوالى ست سنوات من عام ١٢٢٥ إلى عام ١٢٣٠ هـ . قام خلالها بمشاركة السعوديين فى حروبهم مع الشريف غالب كما قام أيضا بمحاربة الشريف حمود .

وفى خلال فترة حكمه كان نفوذ محمد على قد استفحل فى العديد من أجزاء الجزيرة العربية لدرجة أنه وجه قواته لاحتلال عسير عن طريق القنفذة[٣] .

والسؤال المطروح هو لماذا فكر محمد على فى احتلال عسير بالرغم من أن هدفه الأساسى كان الدرعية .

الواقع أن عسير كانت موطنا قويا لنمو فكر دعوة الشيخ محمد بن

---

(١) محمد عمر رفيع : المرجع السابق ص ١٨٠

(٢) العقيلى : المرجع السابق ص ٥٢٩

(٣) يقع ميناء القنفذة فى منتهى مصب وادى قنونا فى البحر الأحمر ، وتقع مدينة القنفذة على حافة ذلك الميناء .

للتفاصيل انظر . هاشم النعمي : المرجع السابق ص ١٥٢

عبد الوهاب الذى جاء محمد على أساسا إلى الجزيرة العربية لمقاومته ، ونتيجة لذلك فقد قرر أن يضرب منطقة عسير بكل قواه خصوصا وأنها ساعدت رجالات الدعوة فى نجد بكل ما تملك من رجال ومال . يضاف إلى ذلك أن محمد على كان يتطلع إلى الاستيلاء على الموانى اليمنية القريبة من عسير وأن استيلاءه على منطقة عسير قد يسهل عليه الوصول إلى اليمن والاستيلاء على محصول البن الذى تشتهر به[١] ، ولما كان محمد على يدرك صلابة مقاومة أهل عسير ، وخطورة هذه المنطقة على قواته فإنه زحف على رأس قوة كبيرة من الجنود فى محاولة للاستيلاء عليها[٢] ، ونتيجة لذلك جهز طامى بن شعيب قواته وسانده رجالات عسير وألمع وبنو الأحمر وبنو الأسمر واستعدوا لمواجهة القوات الغازية[٣] وقد استطاع الأمير طامى هزيمة قوات محمد على وإجبارها على الفرار من القنفذة بعد أن قتل من أفرادها ما يزيد على الألف « ولم يسلم منهم إلا من هرب على الخيل »[٤] وقد تركت هذه القوات وراءها من المؤن

---

(١) انظر محمد فؤاد شكرى وآخرين : بناء دولة .

(٢) دار الوثائق القومية بقلعة صلاح الدين بالقاهرة . محافظ بحر برا . محفظة رقم (٤) وثيقة بتاريخ ٣ ربيع الثانى ١٢٣٠ هـ

(٣) إبراهيم جمعة : الأطلس التاريخى للدولة السعودية . الرياض — دارة الملك عبد العزيز ص ٩٤

(٤) عثمان بن بشر : المرجع السابق ص ١٨٠

والذخائر والخيام الكثير ، وعادت أدراجها إلى جدة[١] .

ونتيجة لفشل القوات الغازية فى معركة القنفذة أمر محمد على بتجهيز جيش آخر لاستعادة هيبته هناك ، وقد تمكن هذا الجيش من احتلال ميناء القنفذة للمرة الثانية ، وإخراج القوات العسيرية الموجودة فيه ، ولكن الأمير (طامى) ما لبث أن استرد زمام الأمور للمرة الثانية فاشتبكت قواته مع قوات محمد على فى معركة ضارية انتهت باندحار القوات الغازية[٢] ، ولما ترامت هذه الأنباء إلى مسامع محمد على شعر بصعوبة غزو عسير عن طريق القنفذة فاستبدله بطريق (تربه) خصوصا وأنه قد نجح فى جذب بعض القبائل القاطنة خلف الطائف إليه[٣] ، وتمكن من الاستيلاء على بيشه وواصل زحفه تجاه عسير ، وظل الأمير طامى صامدا بقواته . وبعد قتال شديد ومعارك ضارية انتصرت القوات الغازية على قوات طامى بعد أن دمرت معظم حصونه

(١) فاروق أباظة : الحكم العثمانى فى اليمن ١٨٧٢ — ١٩١٨ ص ٣١

(٢) هاشم النعمى: المرجع السابق ص ١٥٤

(٣) بعد موقعة بسل التى دارت رحاها بين القوات السعودية بقيادة فيصل بن سعود وبين قوات محمد على والتى شاركت فيها قوات الأمير طامى تمكن محمد على من إحراز انتصارات متوالية وبدلا من أن يتوجه تجاه الشرق صوب الدرعية توجه إلى عسير لمتابعة قوات طامى التى كان محمد على يدرك خطورتها .

للتفاصيل انظر : على أحمد عسيرى : المرجع السابق ص ١٣٢

وانسحب طامى إلى منطقة المخلاف السليمانى حيث استدعاه الحسن بن خالد الحازمى[١] بحجة إيوائه ثم قام بتسليمه إلى قوات محمد على حيث تم أسره وإرساله إلى مصر حيث ظل بها فترة من الزمن ، وبالرغم من أن العديد من الكتابات تختلف فى تحديد المكان الذى أعدم فيه الأمير طامى فالبعض يقول إنه أعدم فى القاهرة[٢] والبعض يقول إنه أعدم فى استنبول[٣] فإن إحدى الوثائق التى عثرنا عليها رجحت الرأى القائل بأنه أعدم فى استنبول[٤] .

وعلى كل حال فإنه من خلال المعارك التى خاضها الأمير طامى بن شعيب ، ومن خلال ما بذله من جهد عسكرى من أجل الحفاظ على بلاده يمكننا أن نصفه بأنه كان من أقوى القادة العسكريين الذين شهدتهم عسير خلال القرن الثالث عشر الهجرى وعلى الرغم من تمكن محمد على من القضاء على إمارة طامى بن شعيب إلا أنه لم يتمكن من

---

(١) من عشيرة الحوازمة تولى وزارة الشريف حمود وقيادة جيوشه .
انظر البهكلى : نفح العود ص ١١٠ — ١١١
(٢) انظر . ابن بشر : المصدر السابق ص ١٨٣
(٣) انظر هاشم النعمى : المرجع السابق ص ١٥٧ — ١٥٨
(٤) دار الوثائق القومية بالقاهرة : محافظ بحر برا محفظة رقم (٤) وثيقة رقم ١٣٨ بتاريخ ١٥ صفر ١٢٣٠ هـ الموافق ٢٧ يناير ١٨١٥ م

القضاء على القبائل العسيرية الرافضة لحكمه لذلك فإنه لم يكد يغادر عسير حتى قام أهلها بثورة جديدة قاموا خلالها بتولية آخر أمراء آل المتحمى فى عسير وهو محمد بن أحمد المتحمى الذى تمكن من إخراج الحامية التى تركها محمد على فى عسير[١] واستولى على ما بيدها من عتاد حربى[٢] وقام بإعادة سيطرته على هذه المنطقة لفترة ، ولكن تكالب القوى الخارجية والداخلية عليه ، ثم أسر قوات محمد على له فى آخر الأمر قد أدى إلى انتهاء حكم إمارة آل المتحمى فى عسير التى استمرت فى الفترة من ١٢١٥ — ١٢٣٤ هـ والتى ظلت على وفائها للدولة السعودية الأولى طوال مدة حكمها ثم تبدأ إمارة عسير بعد ذلك فى الدخول فى طور جديد .

وهكذا كانت إمارة عسير من أكثر مناطق الجزيرة العربية مساندة للدولة السعودية الأولى ومؤيدة لها حتى فى أحلك اللحظات التى مرت بها فقد كان أمراء آل المتحمى على رأس قواتهم فى مواجهة قوات محمد على على الحجاز وعسير ، واستمروا فى المقاومة حتى سقط الواحد تلو الآخر مدافعين عن بلادهم ، ومؤازرين للدولة السعودية الأولى[٣]

(١) على عسيرى : المرجع السابق ص ١٣٤
(٢) هاشم النعمى : المرجع السابق ص ١٥٨
(٣) على أحمد عسيرى : المرجع السابق ص ١٣٦

ضاربين أروع الأمثلة فى الدفاع عن الدين والوطن ، راضين أن ينفذ فيهم حكم الإعدام فى الآستانة جنبا إلى جنب مع أمرائهم من آل سعود .

واستمر العسيريون فى مقاومتهم لقوات محمد على إلى ما بعد سقوط الدرعية ١٢٣٣ هـ ولم يقبلوا أية مساومة مع القوات الغازية فضربوا بذلك أروع الأمثلة فى الدفاع عن الدين والوطن والعرض مضحين فى ذلك بأعداد كبيرة منهم ، وبقيت عسير القوة الوحيدة فى الجزيرة العربية تقريبا التى رفضت الاعتراف بسلطة محمد على وحاربته حتى آخر لحظة من وجود قواته على أرض الجزيرة العربية(١) كما أنها أيضا كانت القوة الوحيدة تقريبا التى حافظت على علاقاتها الودية مع نجد خلال محنتها والذى كان من نتيجته قيام حكومة محمد على بتشديد قبضتها على عسير ، وإرسالها للحملات العسكرية العديدة لقمع انتفاضات القبائل المستمرة هناك(٢) .

وبالرغم من قضاء قوات محمد على على إمارة آل المتحمى فقد حمل

---

(١) المجلة التاريخية المغربية : العدد ٢٩ ، ٣٠ فى يوليو ١٩٨٣ مقال للدكتور محمد آل زلفة تحت عنوان « دور عسير فى أحداث الحجاز فى الفترة ما بين ١٢٦٧ — ١٢٧٢ هـ ص ٤٧ — ٤٨

(٢) عبد الفتاح أبو علية : الدولة السعودية الثانية . الرياض مؤسسة الأنوار ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م ص ٩٢

لواء المقاومة فى عسير الأميران سعيد بن مسلط[١] وعلى بن مجثل[٢] وغيرهما من أبناء المنطقة الذين كانوا مثالا بارزا للبسالة والإقدام. ففى عهد سعيد بن مسلط عادت عسير إلى الثورة ضد قوات محمد على كما أنها لم تقطع صلتها بالسعوديين فى نجد ، بل كانت سيرتهم الحسنة فى أثناء حكمهم لعسير تعيش فى قلوب العسيريين وأفئدتهم ونتيجة لذلك قام الأمير سعيد بن مسلط بمراسلة الأمير تركى بن عبد الله آل سعود من أجل التنسيق بينهما لمواجهة عدوهما المشترك من قوات محمد على ، وقد رد عليه الأمير تركى بإرسال أحد المشايخ النجديين إليه للاتفاق معه على طريق تنسيق الجهاد ووضع عدوهما بين فكّى الكماشة[٣] واستمرت الاتصالات بين الأميرين حول ذلك ، ونظرا لأن القدر لم يمهل ابن مسلط طويلا فقد قام بالأمر بعده ابن عمه الأمير على بن مجثل وذلك فى عام ١٢٤٢ هـ ، وبالرغم من شراسة الحملات التى كان يوجهها محمد

(١) تولى حكم عسير فى الفترة من ١٢٣٨ – ١٢٤٢ هـ

(٢) تولى إمارة عسير بعد وفاة ابن عمه سعيد بن مسلط ، واستمرت مدة حكمه حوالى سبع سنوات فى الفترة من ١٢٤٢ هـ — ١٢٤٩ هـ والتى تمكن خلالها من وقف زحف العثمانيين على بلاده ، والاستيلاء على منطقة المخلاف السليمانى وضمها إلى إمارته .

(٣) دار الوثائق القومية . محافظ بحر برا . محفظة رقم (٩) وثيقة رقم (٦٦) بتاريخ ٧ ربيع الأول ١٢٤٠ هـ

على ضد كل من نجد وعسير فقد استمرت العلاقات بينهما خصوصا وأن الأمير ابن مجثل كان من أشد مناصرى دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومن أكبر مؤيدى آل سعود[١] .

وقد قام الأمير ابن مجثل بتجهيز قوة من قبائل قحطان وغيرها لمساندة النجديين فى حروبهم ضد محمد على ، مما جعل محمد على يحاول النيل منه ومن إمارته . وقد نجح ابن مجثل فى مناهضة قوات محمد على وإبعادها عن بلاده ، ونهضت معه قبائل عسير تسانده وتؤازره.ولما قام تركى بن عبد الله بمناهضة الترك فى بلاده طلب الدعم من ابن مجثل فجهز له قوة من أبناء عسير لمساعدته ، وكانت تحت قيادة الأمير عائض بن مرعى[٢] وقبيل وصول هذه القوة إلى نجد بلغها نبأ الغدر الذى أصاب الأمير تركى من قبل ابن أخته مشارى فعادت من حيث أتت[٣] .

وبعد وفاة على بن مجثل فى عام ١٢٤٩ هـ خلفه ابن عمه عائض بن مرعى.وقد سارت عسير برئاسة عائض بن مرعى على طريقة الدعوة

---

(١) العرب . السنة التاسعة . جماديان ١٣٩٥ هـ جـ ١١ ، جـ ١٢ مقال لعبد الله ابن على بن حميد تحت عنوان « دور أمراء عسير فى نشر الدعوة السلفية ص ٨٦٢

(٢) من آل يزيد من بنى مغيد الذين يرتفع نسبهم إلى عنز بن وائل .
انظر خير الدين الزركلى : الإعلام جـ ٣ بيروت ١٩٨٤ م ص ٢٤١

(٣) شعيب الدوسرى : المصدر السابق ص ٧٨

الإصلاحية التى تستقى أصولها من القرآن والسنة وسيرة السلف الصالح وأعلنت أنها تتخذ من الدين الإسلامى الصحيح دستورا لها تسير عليه[١] .

والحقيقة أن عائض بن مرعى كان من أشجع وأنبل رجال عسير وأشدهم فى الحروب ، كما كان أهلا لمواجهة الموقف الصعب الذى كانت تمر به عسير،ففى خلال فترة حكمه التى امتدت حوالى أربعة وعشرين عاما اتسعت إمارته من غامد وزهران إلى ظهران . كما وطد علاقته بالأمير فيصل بن تركى الذى كان قد تمكن من العودة إلى نجد ، ومواصلة الكفاح ضد العثمانيين . ونظرا لأن وحدة الهدف بين نجد وعسير كانت لإخراج العثمانيين من الجزيرة العربية ، فقد طلب فيصل ابن تركى من عائض بن مرعى إمداده ببعض القوات لمساعدته فى محاربة عدوهما المشترك فلبى الأمير عائض النداء وساند الأمير فيصلا بكل مايملكه من دعم ومساندة[٢] كما وضع قواته تحت تصرفه يضاف إلى ذلك أنه مع تمكنه من هزيمة قوات محمد على فى عدة مواقع وأسر العديد من رجالاتها والاستيلاء على ما بحوزتهم من سلاح وعتاد[٣]

---

(١) على عسيرى : المرجع السابق ص ٢٤٣

(٢) شعيب الدوسرى : المصدر السابق ص ١٢١ — ١٢٢

(٣) نفسه ص ٨٦

سارع رجالات عسير بإرسال بشائر النصر مع بعض ما غنموه إلى الإمام فيصل بن تركى كدليل قوى على الروابط المتينة بينهما[١] وامتدادا للصلات السياسية القائمة بين نجد وعسير منذ زمن الدولة السعودية الأولى ، وتقديرا لأئمة الدولة السعودية ، وحرصا على توثيق عرى المودة والنوايا الحسنة بينهما[٢] .

ومما يؤكد ترابط الصلات بين نجد وعسير اتفاق الأمير فيصل بن تركى مع عائض بن مرعى على مواجهة قوات محمد على بكل السبل المتاحة بحيث يكون التنسيق بينهما متزامنا حتى ترتبك قوات محمد على[٣] .

ولما اشتدت المعارك فى عام ١٢٦٨ هـ — ١٨٥١ م بين قبائل عسير بقيادة عائض بن مرعى ، والقوات الغازية وتمكنت قوات الأمير عائض هزيمة قوات محمد على لم ينس أمير عسير إرسال بشائر هذا النصر إلى آل سعود ، فأرسل إلى الإمام فيصل بن تركى بذلك ، كما بعث بجزء من الغنائم التى استولت عليها قواته وببعض الهدايا إليه تعبيرا عن قوة الروابط

(١) Philby : Saudi Arabia, London, 1955 P. 174

(٢) على عسيرى : المرجع السابق ص ٢٤٣ — ٢٤٤

(٣) نفسه ص ٢٥٤

التى تربط بينهما ، وكدليل قوى على الروابط السياسية بين الرياض وعسير والتى هى امتداد للصلات بينهما منذ زمن الإمام عبد العزيز محمد ابن سعود[١]

وبعد وفاة الأمير عائض بن مرعى فى عام ١٢٧٣ هـ تحمل زمام الأمور من بعده ابنه الأمير محمد الذى كان أول عسيرى تؤول إليه الإمارة بالوراثة من والده ، وقد اكتسب هذا الأمير مجدا فى قومه نتيجة لانتصارات والده على الأتراك وصدهم عن بلاده .

وفى عهد الأمير محمد بن عائض ازدهرت علاقات عسير بنجد وظهرت مواقفه الودية تجاههم.فبعد وفاة الأمير فيصل بن تركى توجه ابنه الأمير سعود إلى عسير فى عام ١٢٨٣ هـ — ١٨٦٦ م طالبا مناصرة أميرها محمد بن عائض له عسكريا ضد أخيه عبد الله ، ونظرا لما يربط عسير بآل سعود من روابط متينة ، فإن الأمير محمد بن عائض حاول التوفيق بين الأخوين المتنازعين دون أن ينحاز لواحد منهما ضد الآخر مما كان له أكبر الأثر بين أمراء آل سعود[٢] .

وعلى كل حال فبعد أن تمكن الأمير محمد بن عائض من السيطرة على

---

(١) عبد الفتاح أبو علية : المرجع السابق ص ٤٦

(٢) على عسيرى : المرجع السابق ص ٢٥٧ وأبو علية المرجع السابق ص ١٧٧

زمام الأمور فى بلاده بدأ فى إشعال نيران الثورات ضد العثمانيين مما دفع السلطان العثمانى عبد العزيز إلى أن يطلب من الخديو إسماعيل حاكم مصر إرسال بعض قواته لإخماد ثورة هذا الأمير الثائر(١).

ولما كان الخديو لا يرغب فى إغضاب السلطان العثمانى برفضه تقديم المساعدة له فى إخماد ثورة أهالى عسير ، وفى نفس الوقت لا يرغب فى توريط نفسه فى حرب قد لا تحمد عقباها فقد استجاب لأوامر السلطان بإرسال قوة إلى جدة تمهيدا لنقلها إلى جهة القنفذة ، هذا فى الوقت الذى بدأ الخديو إسماعيل يحث قائد هذه القوة على المماطلة والتسويف عند التحرك إلى جهة القتال كلما أمكن ذلك(٢) حتى يتمكن من التوفيق بين الطرفين وخلال ذلك حاول الخديو جس نبض الإمام فيصل بن تركى حول إمكانية تقديمه المساعدة لقواته عند مهاجمته لعسير . وكان ذلك فى الحقيقة امتحانا للعلاقة المميزة بين نجد وعسير فأرسل الخديو إسماعيل إلى الأمير فيصل برسالة عبر فيها عن رغبته فى استمرار المودة بينهما(٣)

---

(١) شوقى عطا الله الجمل : سياسة مصر فى البحر الأحمر فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر . القاهرة : الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٤ ص ٣١٦

(٢) دار الوثائق القومية بالقاهرة : محفظة سايرة : ترجمة الوثيقة رقم ٩٣ بتاريخ ١٣ ربيع الثانى ١٢٨٢ هـ

(٣) دار الوثائق القومية بالقاهرة : وثائق عابدين — دفتر ١٩١١ رسالة من الخديو إسماعيل حاكم مصر إلى الأمير فيصل بن تركى أمير نجد بتاريخ ٢ جمادى الآخرة عام ١٢٨١ هـ ص ٣٣

ويطلب منه المساعدة فى أثناء محاربة قواته لعسير . وكان رد الأمير فيصل على هذه الرسالة أنه يرفض تقديم أية مساعدة ضد عسير نظرا لعلاقاته الطيبة مع آل عائض هناك(١) .

ونتيجة لذلك بدأ الخديو يفكر جديا فى بذل مساغيه للوصول إلى تسوية سلمية بين السلطان وثوار عسير(٢).ولما نجح الخديو فى الحصول على موافقة الباب العالى على تلك السياسة بدأ فى كتابة الرسائل إلى الأمير محمد بن عائض يحثه فيها على إظهار حسن النية تجاه الدولة العثمانية والدخول فى طاعتها(٣) فى نظير تعهده ببذل الجهود لدى السلطان العثمانى ليحصل له على لقب أمير الأمراء ، وتعديل حدودها على أن تسمى المنطقة التى يحكمها بالمتصرفية العزيزية(٤) ولما أظهر الأمير بن عائض ميلا للتفاهم فى الأمر أبلغ الخديو الدولة العثمانية بما حدث ، وطالبها بتنفيذ وعوده لأمير عسير حتى لا يتحرج موقفه أمامه ، وحتى

(١) أبو علية : الدولة السعودية الثانية ص ١٥٣

(٢) المجلة التاريخية المصرية . المجلد السابع ١٩٥٨ مقال للدكتور محمد السروجى تحت عنوان . موقف مصر إزاء بعض مشاكل الجزيرة العربية ص ٧٢ — ٧٤

(٣) دار الوثائق القومية بالقاهرة . سجل رقم (٢٢) عابدين وثيقة بتاريخ أواخر شعبان ١٢٨٢ هـ

(٤) شوق الجمل : المرجع السابق ص ٣١٦ — ٣١٧

لا يقوم رجالات عسير بالثورة ضد الدولة العثمانية من جديد[١] ونتيجة لذلك أصدر السلطان فرمانا يجعل محمد بن عائض بمقتضاه برتبة قائمقام سنجق العزيزية[٢] كما منحه رتبة أمير اللواء[٣] فى مقابل أن يتخلى عن فكرة انفصاله عن العثمانيين مما أدى إلى صفاء النفوس وحل المسألة دون حرب[٤] .

ومع ذلك فإن هذا الصفاء لم يستمر طويلا بين عسير والسلطنة العثمانية خصوصا وأن الوشايات كانت تصل إلى الباب العالى من أمراء الحجاز وغيرهم ضد إمارة عسير يتهمون فيها محمد بن عائض بالخروج على طاعة الدولة ، مما دفع الخديو إسماعيل إلى تحذير محمد بن عائض من استفزاز العثمانيين ، ومطالبته له بوقف تحركاته العسكرية خارج حدود بلاده حتى لا يتعرض لغضب السلطان[٥] . ولما تجاهل محمد بن عائض

---

(١) دار الوثائق : دفتر ٢٢ عابدين . وثيقة رقم ١٣٢ فى ٥ جمادى الأولى ١٢٨٢ هـ
(٢) إسماعيل سرهنك : المرجع السابق ص ٢٩٤
(٣) دار الوثائق : بندر متفرقات . وثيقة بتاريخ ٢٨ شعبان ١٢٨٢ هـ من الخديو إسماعيل إلى الأمير محمد بن عائض أمير عسير .
(٤) انظر صورة الخط الهمايونى الذى أرسله السلطان العثمانى إلى الخديو إسماعيل بشأن تسوية مسألة عسير والمنشور فى كنز الرغائب فى منتخبات الجوانب جـ ٥ . الآستانة ١٢٩٤ هـ .
(٥) دار الوثائق القومية : بندر متفرقات . دفتر ٢٤٠ عابدين ص ١٠٦

هذه الأمور أرسلت الدولة العثمانية قواتها إلى عسير برئاسة القائد التركى محمد رديف باشا الذى قام بمحاولات عدة لتحريض أهالى عسير ضد آل عائض[(١)] وانتهى الأمر بقيام الدولة العثمانية بغزو عسير ، وقتل محمد ابن عائض والعديد من أفراد قواته وذلك فى عام ١٢٨٩ هـ[(٢)] ونتيجة لذلك تحولت عسير إلى متصرفية تابعة للدولة العثمانية يقوم على شئونها متصرف عثمانى مركزه أبها ، وأرسل علماء عسير وكبار رجالاتها إلى استنبول عاصمة الدولة العثمانية واستمروا هناك فى الأسر لفترة امتدت إلى بضع سنوات[(٣)] .

ولكن ذلك الوضع لم يستمرَّ طويلا حيث ساد عسير الاضطراب ، وانعدم فيها الأمن ، وهذا أمر طبيعى طالما أن الإسلام بعيد عن الحكم. لذلك عمت الفوضى وأصبحت القـــوانين تسن حسب المصالح الشخصية .

حقيقة لقد جاءت الدولة العثمانية إلى هذه المناطق باسم الإسلام ،

---

(١) من أمثلة ذلك : منشور القائد التركى رديف باشا إلى العسيرين .

(٢) شعيب الدوسرى : المصدر السابق ص ٤٨

(٣) عن تفاصيل ذلك انظر :
خطبة أحمد عبد الخالق الحفظى أمام السلطان عبد العزيز والتى ألقاها نيابة عن أسرى عسير فى استنبول مخطوط . صورته لدى الباحث .

الإسلام ، ولكنها كانت أبعد ما تكون عن ذلك[1] وعلى كل حال فقد ظلت السلطة العثمانية فى عسير اسمية ، على حين ظلت السلطة الحقيقية فى أيدى آل عائض ومشايخ القبائل،لذا أهمل العثمانيون شئون البلاد التى أصبحت تضطرب فى بحر من الفتن والحروب القبلية[2] ، واستمر الحال على ذلك المنوال حتى تحققت الوحدة لمعظم أراضى شبه الجزيرة العربية على يد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود — طيب الله ثراه — وأصبحت عسير جزءا غاليا من جسد المملكة العربية السعودية..

ومما سبق يتضح أن عسيرا كانت من المناطق الهامة التى انتشرت فيها الدعوة السلفية ، وتركت آثارا إيجابية على قبائل هذه المنطقة طوال القرن الثالث عشر الهجرى/التاسع عشر الميلادى .

وإن علاقاتها الودية لم تنقطع مع آل سعود الذين حكموا نجد حتى فى أحلك اللحظات ، كما أن أهاليها رفعوا لواء المقاومة وقدموا العديد من التضحيات أمام كل من سوَّلَتْ له نفسهُ الانتقاص من استقلال بلادهم

---

(١) محمود شاكر : شبه جزيرة العرب — عسير . دمشق المكتب الإسلامى ١٩٨٢ ص ٢١٩

(٢) العرب جـ ١ ، جـ ٢ السنة التاسعة . رجب وشعبان ١٣٩٤ هـ ص ٨٠

أو المساس بالدعوة الإصلاحية التى يتمسكون بها .

وعندما دخل الأمير[١] فيصل آل سعود أبها فى عام ١٣٤١ هـ وعادت عسير إلى الحكم السعودى مباشرة أصبحت الدعوة الإصلاحية ترفرف فى كل أجزاء عسير .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(١) هو الملك فيصل بن عبد العزيز .

ثبت المصـادر والمراجـع

أولا ـــ الوثائق :

دار الوثائق القومية بقلعة صلاح الدين بالقاهرة .

١ ـــ محافظ بحر برا محفظة رقم (٤) ومحفظة رقم (٩)

٢ ـــ محافظ بندر متفرقات . محفظة تاريخها ١٢٨٢ هـ

٣ ـــ محفظة سايرة : بتاريخ ربيع الثانى ١٢٨٢ هـ

٤ ـــ دفتر ١٩١١ عابدين

٥ ـــ سجل رقم ٢٢ عابدين

ثانيا ـــ المخطوطات :

الظل الممدود فى الوقائع الحاصلة فى عهد ملوك آل سعود الأولين لمؤلفه محمد بن هادى بن بكرى الحفظى مخطوط لدى الأستاذ عبد الخالق الحفظى وصورته لدى الباحث .

ثالثا ـــ المراجع والمصادر العربية :

١ ـــ إبراهيم جمعة :

الأطلس التاريخى للدولة السعوديـة . الريـاض ـــ

مطبوعات دارة الملك عبد العزيز ١٣٩٨ هـ
٢ — إسماعيل سرهنك :
حقائق الأخبار عن دول البحار جـ ٢ . القاهرة
الطبعة الأولى ١٣١٤ هـ
٣ — الحسن الهمدانى :
(أ) صفة جزيرة العرب — تحقيق محمد الأكوع —
الرياض ، منشورات دار اليمامة ١٣٩٤ هـ
(ب) كتاب الإكليل جـ ١ — تحقيق محب الدين
الخطيب — القاهرة الطبعة السلفية ١٣٦٨ هـ
٤ — خير الدين الزركلى :
الأعلام جـ ٣ بيروت . دار العلم للملايين
٥ — شعيب الدوسرى :
إمتاع السامر بتكملة متعة الناظر ، القاهرة مطبعة
الحلبى ١٣٦٥ هـ
٦ — شوقى الجمل :
سياسة مصر فى البحر الأحمر فى النصف الثانى من القرن
التاسع عشر . القاهرة — الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٤ م

٧ — عاتق البلادى :

معجم معالم الحجاز جـ ١ . دار مكة للنشر والتوزيع

٨ — عبد الرحمن البهكلى :

نفح العود فى سيرة دولة الشريف حمود — تحقيق محمد العقيلى — الرياض — مطبوعات دارة الملك عبد العزيز ١٤٠٢ هـ

٩ — عبد الفتاح أبو علية :

الدولة السعودية الثانية ، الرياض — مؤسسة الأنوار ١٤٠٠ هـ/١٩٨٠ م

١٠ — عثمان بن بشر :

عنوان المجد فى تاريخ نجد، الرياض، الطبعة الثالثة ١٣٨٥ هـ

١١ — على أحمد عيسى عسيرى :

عسير ١٢٤٩ — ١٢٨٩ هـ دراسة تاريخية أبها — نادى أبها الأدبى ١٤٠٧ هـ

١٢ — فاروق أباظة :

الحكم العثمانى فى اليمن ١٨٧٢ — ١٩١٨ م

القاهرة — الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٥ هـ

١٣ — محمد بن أحمد العقيلى :

تاريخ المخلاف السليمانى ، جزءان . الرياض ، منشورات دار اليمامة ١٤٠٢ هـ

١٤ — محمد عمر ربيع :

فى ربوع عسير ، ذكريات وتاريخ ، القاهرة دار العهد الجديد ١٣٧٣ هـ — ١٩٥٤ م

١٥ — محمد شاكر :

شبه جزيرة العرب — عسير ، دمشق — المكتب الإسلامى ١٩٨٢

١٦ — منير العجلانى

تاريخ البلاد العربية السعودية — بدون معلومات نشر .

١٧ — هاشم النعمى :

تاريخ عسير فى الماضى والحاضر — بدون معلومات نشر .

رابعا — المراجع الأجنبية :

Philby (J. B)

Saudi Arabia, London ., First Edition, 1955.

خامسا — الدوريات :

١ — العرب . المجلد الثامن ، الجزءان الخامس والسادس ذو القعدة وذو الحجة ١٣٩٣ هـ ، والسنة التاسعة فى جماديان ١٣٩٥ هـ

٢ — المجلة التاريخية المصرية : المجلد السابع ١٩٥٨

٣ — المجلة التاريخية المغربية : السنة العاشرة العدد ٢٩ ، ٣٠ فى يوليو ١٩٨٣

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه